Quarterly Journal of Contemporary Literature Studies **Volume 15, Issue 58**
Islamic Azad University in Jiroft **June 2023**
https://cls.jiroft.iau.ir/ **pp. 66-88**

10.30495/CLS.2023.1960069.1369

Research Article

The Characteristics of Arabic Immigrant Woman in *"Broclyne Heighs"* of Miral Tahavi

Abdolahad Gheibi[1*], Amir Moqaddam Mottaqi[2], Jafar Amshasfand[3], Roya Badakhshan[4]

Abstract

Miral Al-Tahavi is one of the Egyptian contemperory writers tries to depict the pains and problems of women in Egyptian society and the conditions of Egyptian people. So, women are the most important characters in her novels. By reviewing her novels, she can be called the voice of Egytian women`s Literature. She is a novelist who has a great tendency to study the place of women in society. Genrally, she chooses women as the heroines of her novels, and by focusing on feminine characters, tries to make them woman-oriented. **"*Broclyne Heights*"** is one of the novels of this eminet Egyptian novelst that could partly fulfill her purpose in describing the pains and sufferings of women. The alienation and Loneliness of Arab immigrant women is one of the most important themes of this novel; women who have experienced the problems of life in exile and want to overcome them as the narrator of narration. This article, which looks for ProclainHaites' theory, is based on a descriptive and descriptive approach that shows that the image of Arab immigrant women is a sad and turbulent picture. The woman who left her country looking for a good and quiet life but found these calamities and problems in new form in the strange country. The fact is that diaspora is not a virtuous city as some people think and present many challenges in the lives of migrants to foreign countries from traditional beliefs to the behavior of host society. The migrant must seek treatment in the society in which he was born and raised, not in the foreign country where migrants are not known to be of any value or care.

Keywords: Woman, Miral Al- Tahawy, Novel, Broclyne Heights, Nostalgia

How to Cite: Gheibi A, Moqaddam Mottaqi A, Amshasfand J, Badakhshan R., The Characteristics of Arabic Immigrant Woman in "*Broclyne Heighs*" of Miral Tahavi, Quarterly Journal of Contemporary Literature Studies, 2023;15(58):66-88.

1. Professor of Arab Language and Literature, Azarbaijan Shahid Madani University, Tabriz, Iran
2. Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Dr.Ali Shariati Faculty of Letters and Humanities, Ferdowsi University of Mashhad , Mashhad , Iran
3. Teacher of Arab Language and Literature, Azarbaijan Shahid Madani University, Tabriz, Iran
4. M.A, Student of Arab Language and Literature, Azarbaijan Shahid Madani University, Tabriz, Iran

Correspondence Author: Abdolahad Gheibi **Email:** Abdolahad@azaruniv.ac.ir

Receive Date: 31.05.2022 **Accept Date:** 26.02.2023

فصلنامه علمی دراسات الادب المعاصر
دانشگاه آزاد اسلامی واحد جیرفت
https://cls.jiroft.iau.ir/

دوره ۱۵، شماره ۵۸
تابستان ۱۴۰۲
صص: ۸۸-۶۶

10.30495/CLS.2023.1960069.1369

مقاله پژوهشی

سیمای زن مهاجر عرب در رمان "بروکلین‌هایتس" اثر میرال الطحاوی

عبدالاحد غیبی[۱*]، امیر مقدم متقی[۲]، جعفر امشاسفند[۳]، رؤیا بدخشان[۴]

چکیده

در تاریخ شعر و ادب فارسی، همواره شاعران برجسته‌ای بوده‌اند که نگاه شاعران هم‌عصر یا دوره‌های بعد را به خود جلب کرده‌اند. شعر این سرایندگان به صورت‌های مختلف، حضور خود را در آثار دیگران به نمایش گذاشته است. درواقع، گویندگان بعدی با پیروی از سنّت شعری و ادبی و با بهره‌گیری از اشعار شاعران والامقام پیش از خود، میان متن خویش و متون و داشته‌های فرهنگی پیشین رابطه ایجاد کرده و شعر خود را غنی ساخته‌اند. در شعر معاصر فارسی، مقام نیما انکارنشدنی است. شاعران شاخص پس از وی، اغلب سرایندگانی هستند که با شعر و نظر او انس دارند و از آن تأثیر پذیرفته‌اند. ازجملهٔ این شاعران، منوچهر آتشی است. وی به شیوهٔ نیما هم به مسائل اقلیمی و بومی و هم به نام‌آواها توجه کرده است. آتشی برخی اشعار نیما را تضمین کرده و همچنین از عناوین اشعار او بهره برده است. در نوشتار پیش‌رو با استفاده از منابع کتابخانه‌ای و به شیوهٔ توصیفی - تحلیلی به نشانه‌های آشکار حضور نیما در شعر آتشی پرداخته شده است.

واژگان کلیدی: نیما یوشیج، منوچهر آتشی، بینامتنیت، اقلیم‌گرایی، تضمین

ارجاع: غیبی عبدالاحد، مقدم متقی امیر، امشاسفند جعفر، بدخشان رؤیا، سیمای زن مهاجر عرب در رمان "بروکلین‌هایتس" اثر میرال الطحاوی، دراسات ادب معاصر، دوره ۱۵، شماره ۵۸، تابستان ۱۴۰۲، صفحات ۶۶-۸۸.

۱. استاد دانشگاه شهید مدنی آذربایجان، تبریز، ایران
۲. دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشکده ادبیات و علوم انسانی دکتر علی شریعتی، دانشگاه فردوسی مشهد، مشهد، ایران
۳. مدرس دانشگاه شهید مدنی آذربایجان، تبریز، ایران
۴. کارشناسی ارشد رشته زبان و ادبیات عربی دانشگاه شهید مدنی آذربایجان، تبریز، ایران
نویسنده مسئول: عبدالاحد غیبی ایمیل: Abdolahad@azaruniv.ac.ir

تاریخ دریافت: ۱۴۰۱/۰۳/۱۰ تاریخ پذیرش: ۱۴۰۱/۱۲/۰۷

دراسات الأدب المعاصر
جامعة آزاد الإسلامية فى جيرفت
https://cls.jiroft.iau.ir/

السنة ١٥ ، العدد ٥٨
صيف ١٤٤٤
صص: ٨٨-٦٦

10.30495/CLS.2023.1960069.1369

المقالة البحثية

تصوير المرأة العربية المهاجرة في رواية "بروكلين‌هايتس" لميرال الطحاوي

عبدالأحد غيبي[١*]، امير مقدم متقي[٢]، جعفر امشاسفند[٣]، رؤيا بدخشان[٤]

الملخّص

"ميرال الطحاوي"، كاتبة مصرية معاصرة تجتهد أن تُصوّر آلام المرأة وآمالها في المجتمع المصري بكتابة الروايات التي غلبت عليها النزعة النسوية. تلعب المرأة دوراً هاماً في روايات هذه الكاتبة حيث يمكن أن تعتبر آثار الطحاوي صدىً لصوت النساء في الأدب النسوي المصري. رواية "بروكلين‌هايتس"، إحدى روايات هذه الكاتبة المصرية الشهيرة التي تمكنّت في تحقيق أهدافها في التعبير عن آلام النساء ومعاناتهن. اغتراب المرأة العربية المهاجرة ووحدتها من أبرز موضوعات هذه الرواية؛ المرأة التي شهدت مشاكل الحياة في الغربة وتريد التغلب عليها باعتبارها راوية الرواية. هذه المقالة التي تبحث عن رواية بروكلين‌هايتس معتمدة على المنهج التحليلي والتوصيفي تشير إلى أنّ صورة المرأة العربية المهاجرة هي صورة حزينة ومضطربة. المرأة التي غادرت بلدها باحثة عن حياة طيبة وهادئة ولكنها وجدت هذه المصائب والمشاكل في ثيابها الجديدة في البلد الغريب. هذه الرواية ذات النزعة الواقعية التي تصور حياة المرأة المهاجرة خاصة المرأة المهاجرة العربية إلى بلدان الغرب تُعبّر عن خلافات معقّدة وفوارق عديدة بين الشرق والغرب في التقاليد والعادات. والحقيقة أنّ المهجر ليس مدينة فاضلة كما يظنه البعض وهناك تحديات ومشاكل كثيرة في حياة المهاجرين إلى البلدان الأجنبية من المعتقدات التقليدية إلى سلوك المجتمع المضيف. وعلى المهاجر أن يبحث عن العلاج في المجتمع الذي ولد وترعرع فيه لا في البلد الغريب الذي لايعرف للمهاجرين أيّ قيمة وعناية.

الكلمات الرئيسة: المرأة، الرواية، ميرال الطحاوي، بروكلين¬هايتس، الاغتراب

١. أستاذ في اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد مدني بأذربيجان، تبريز، إيران
٢. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب و العلوم الإنسانية للدكتورعلي شريعتي، جامعة فردوسي مشهد، مشهد، إيران
٣. مدرس في اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد مدني بأذربيجان، تبريز، إيران
٤. ماجستير في اللغة العربية و آدابها في جامعة الشهيد مدني بأذربيجان، تبريز، إيران

المؤلف المختص: عبدالأحد غيبي **البريد الالكتروني:** Abdolahad@azaruniv.ac.ir

تاريخ الوصول: ١٤٤٣/١٠/٢٩ **تاريخ القبول:** ١٤٤٤/٠٨/٠٥

المقدمة

من الواضح أن الرواية تضع القيم السائدة في المجتمع أمام الأبطال الساخطين عليها من الرجال والنساء. والرواية تسجل النضال بين شخص معين وبين مجتمعه وفي نفس الوقت يمكن للرواية أن تقارن الطرق المختلفة للحياة أو نمط الحياة للناس في المجتمعات المختلفة أو تعرض النمط التقليدي للحياة مقابل النمط الحديث لها. فلذلک استطاع كتّاب كل عصر أن يعرضوا آرائهم وكتاباتهم عن مشاكل المجتمع وأوضاعه من خلال كتابة أدبية باسم «الرواية». إحدى هذه المشاكل هي معاناة المرأة العربية التي تعيش في مجتمع خاضع لسلطة الرجل، المشكلة التي لفتت أنظار الكثيرين من الكتّاب والنّقّاد ذوي النزعة النسوية. كانت نظرة التمييز الجنسي إلى المرأة سائدة في كثير من المجتمعات وكانت النساء وحقوقهن متأثرة عن الحكام وأصحاب السلطة. وهذه النظرة كانت قوية وشديدة في المجتمعات العربية لعدة أسباب منها: سيطرة الأجانب والحكومات المستبدة والبيئة والثقافة (ثقافة التمييز بين الرجل والمرأة) وسلطة التقاليد والعادات وعدم الاهتمام الواعي بأوامر الدين .... ولاتتمتع النساء في هذه المجتمعات عن حقوق مناسبة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية. وخلال قرون عديدة كانت المرأة محصورة وسجينة بين أربع جدران لتخدم الأسرة والأهل وكانت تتحمل آلاما كثيرة بكونها امرأة وبسبب سيطرة مجتمع خاضع لسلطة الرجل. وبمرور الزمن قام مجددون ومصلحون لإحياء حقوق المرأة والدفاع عنها.

لقد ظهرت النزعة النسوية على يد طبيبة ذات نزعة نسوية باسم نوال السعداوي في كتابها «المرأة و الجنسية». لقد ظهر بعد السعداوي كتّاب آخرون لهم نظرة نقدية منهم ميرال الطحاوي التي اشتهرت كروائية معاصرة و إحدى الشخصيات البارزة ذات النزعة النسوية بين الكاتبات المصريات. تتحدث الطحاوي في جميع رواياتها عن آلام النساء ومعاناتهن في مجتمع تسود فيه سلطة الرجل. هذه الكاتبة تختار أبطال رواياتها من النساء في كثير من الأحيان. رواية بروكلين‌هايتس من أبرز روايات هذه الكاتبة المصرية التي تجتاز الكاتبة فيها حدود بلدها العربي وتهتم بآلام النساء المهاجرات إلى الغرب وتكشف عن آمالهن. تشير الكاتبة في هذه الرواية إلى معاناة النساء وتتحدث من جانب عن النساء في «تلال فرعون» اللاتي تحمّلن الآلام في ظل مجتمع خاضع لسلطة الرجل ومن جانب آخر تتحدث عن النساء المهاجرات إلى نيويورک واللاتي ابتعدن عن أسرتهن وهاجرن إلى الغرب وواجهن في هذا البلد شتى أنواع المشاكل ولذلک اتسع نطاق هذه الرواية فهي لا تشمل النساء في الصحراء العربية فحسب بل

تشمل أيضا جمعا غفيراً من الصوماليات والمكزيكيات والعربيات والأفغانيات اللاتي يعانين حياة الغربة.

أسئلة البحث

١- كيف تبلورت شخصية المرأة العربية المهاجرة في رواية بروكلين‌هايتس؟
٢- ما هو هدف هذه الرواية من تصوير الثقافة الشرقية والغربية؟

خلفية البحث

ميرال الطحاوي هي إحدى الكاتبات المصريات الحديثات التي لم تواجه آثارها وآراؤها اهتماما ملحوظا من قبل الدارسين و الباحثين الإيرانيين. وحسب التحريات التي قمنا بها في هذا المجال وجدنا بحثا عنوانه: «ميرال الطحاوي از خيمه تا بادنجان كبود» كتبته مرضية بهبهاني سنة ١٣٨٨ه.ش في مجلة «كتاب ماه در ادبيات و فلسفه» رقم (٦١). لقد تحدثت الكاتبة في هذه المقالة موجزا عن حياة الطحاوي مع دراسة اثنتين من رواياتها (الخباء والباذنجان الزرقاء). وكما يبدو أنه لاتوجد دراسة شاملة عن الطحاوي وآثارها. لكن هناك مقالات عن صورة المرأة العربية وآلامها ومصائبها في المجتمع العربي في آثار الروايين الآخرين، نشير منها إلى مقالة طبعت في مجلة (زن و فرهنگ و هنر) سنة١٣٩٠هـ.ش عنوانها «أصداء معاناة المرأة العربية في روايات هيفاء بيطار» لشهريار نيازي والآخرين، و يحاول المولفون فيها دراسة وعرض معاناة النساء العربيات في محتمع خاضع لسلطة الرجل. على هذا الأساس نرى أن من الضرورات الأساسية في هذا البحث تعرّف المخاطب على الروائية المصرية الشهيرة ميرال الطحاوي وآثارها، الكاتبة التي لم تُعرّف في بلدنا تعريفا مناسبا. والجدير بالذكر أنه نظرا لعدم العثور على مصادر في المكتبة والإنترنت، فقد استطعنا الاتصال مع الكاتبة عن طريق البريد الالكتروني وقمنا بعدة مراسلات معها كي نتعرف على جوانب عديدة من حياتها ونخطو خطوة هامة في تعريفها وإلى جانب هذا نرمي إلى دراسة الجوانب الدلالية والبنيوية لرواية «بروكلين-هايتس» وتحليل صورة المرأة العربية المهاجرة فيها، المرأة التي تعاني في مجتمع عربي أعمي تسود فيه سلطة الرجل وكذلك تعاني في بلد أجنبي وتواجه فيه مشاكل عديدة بكونها إمرأة وغريبة.

ميرال الطحاوي وآثارها

ولدت ميرال الطحاوي في مصر سنة ١٩٦٨م وحصلت على شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها سنة١٩٩٥م من جامعة الزقازيق ثم ناقشت عن رسالتها في مرحلة الماجستير عنوانها «غزليات التمرد والاغتراب في النص القزازي». اشتغلت الطحاوي كأستاذة في جامعة القاهرة ثم أنهت دراسة الدكتوراه في جامعة القاهرة سنة ٢٠٠٧ وناقشت عن رسالتها بعنوان «جمإلية رواية الصحراء العربية وتكوينها الفني». عملت الطحاوي خلال سنوات ١٩٩٥-٢٠٠٨ كمُدرّسة جامعية في قسم الأدب العربي والنقد بجامعة القاهرة. تعيش الطحاوي منذ سنة ٢٠٠٨ في نيويورک مع زوجها وابنها وتكتب عن الحزن والعزلة التي تستولي على حياة الكثيرين من المهاجرين. كانت الطحاوي تدرّس في أمريكا خلال سنوات ٢٠٠٩-٢٠١١ كمدرسة ثم أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة فيرجينيا ومونتري وجامعة آبالاجي الولائية ثم درّست خلال سنوات ٢٠١١ إلى ٢٠١٤ كأستاذة مساعدة للغة العربية وآدابها في جامعة ولاية آريزونا وتدرّس حاليا كأستاذة مشاركة للأدب العربي الحديث في هذه الجامعة. (مراسلة مع ميرال الطحاوي، ٢٠١٥/٠٦/١٠)

ميرال الطحاوي كاتبة لها فهم صحيح ووعي سياسي واجتماعي لروح العصر. ولذلک نراها تلقي أفكارها وانطباعاتها الذهنية إلى المخاطب بشجاعة كاملة. وتستدعي الطحاوي بهذه الصفة الروائية الفلسطينية المناضلة «سحر خليفة» في أذهاننا. تناضل سحر خليفة في ثلاث جبهات: جبهة الكفاح ضد إسرائيل، وجبهة الكفاح ضد سلطة الرجل العربي وأخيراً النضال ضد الفساد الذي يسود في البلدان العربية من قبل الامبريإليين بمساعدة الحكومات المستبدة. (http://vista.ir) رواية «الخباء» هي أول رواية للطحاوي التي كتبتها سنة ١٩٩٦. طبعت رواية الطحاوي الثانية باسم «الباذنجان الزرقاء» سنة١٩٩٨م. (مصطفى الخلجي، ١٣٩٣/١١/١٥) تعرض هذه الرواية محاولة إمراة مصرية للبحث عن مكانتها في المجتمع منذ سنين المراهقة حتى الكبر وهي تنضم في هذا الطريق إلى منظمة دينية سرية وتدرک الحقيقة الأصلية لفلسفة الإسلام السياسي. رواية «نقرات الضباء» و«إمرأة الأرق» روايتان من الروايات الأخرى للطحاوي التي تناولت الكاتبة فيهما مشاكل النساء في المجتمع البدوي لمصر وكذلک تتحدث الكاتبة في رواية «إمرأة الأرق» عن موضوعات مثل: مرحلة الطفولة وبداية كتابتها للرواية وكتابة النساء والحرية و.... والطحاوي يستخدم جميع طاقاتها في مسيرة الاهتمام بالنساء كأنّها تريد أن تبحث عن آمال نفسها حيث تقول: «أنا لست هندا (بطل الرواية) فقط بل أنا نساء روايتي كلّهن

ولا أرى ضروريا أن أعتذر لهذه الجريمة. يمكن لكل كاتب أن يستفيد من جميع تجارب حياته وكذلك من تجارب الآخرين».(يحيى، ٢٠١٣: ٤٢٣)

رواية «بروكلين‌هايتس»

هذه الرواية هي الرواية الرابعة من روايات الطحاوي التي طبعت سنة٢٠١١م في ٢٤٦ صفحة ، لها ١١ فصلاً وحصلت على جائزة (نجيب محفوظ). عناوين أغلب الفصول في هذه الرواية هي أسماء الأماكن منها: فلاتبوش، وباي ريدج، والمقبرة الخضراء، ووينديسورتراس، وكوكوبار، وأتلانتك آفيننو، وفولتون استريت، وبروسبكت بارك، وبروكلين بريدج. تختلف أسماء ثلاثة فصول من الرواية عن بقية الفصول وهي: تانجو، بلوتو في برج الجدي، وفصل البرد. والسبب في تسمية هذه الفصول باسماء الأماكن هو أن بطل الرواية «هند» تحضر في كل من هذه الأماكن وتواجه فيها بأحداث مختلفة. هند إمرأة شرقية هاجرت إلى أمريكا بعد الانفصال والطلاق من زوجها مع ابنها البالغ ثمانية سنوات من عمره الذي يصبح في الغربة الأنيس الوحيد لأمه. تعاني هذه المرأة من غربة زمانية ومكانية ووجودية. وتنشأ غربتها في أكثر الأحيان من عدم الاهتمام والتمييز بينها وبين بقية النساء. تبدو وحدتها وغربتها في كل قسم من أقسام الرواية بوضوح. هذه المرأة سخطت على الماضي وآلامها وهاجرت إلى بلد غريب. تبدأ القصة بدخول هند إلى بروكلين ومواجهتها بعدة مشاكل مثل السكن وممارسة التقاليد الشرعية ومشاكل أعمق منها مثل التقابل الثقافي والاضطراب والقلق والحنين إلى الوطن. تواجه هند بعد دخولها إلى عالم الغرب بحوادث وشخصيات وفي كل هذه الحوادث والشخصيات تتذكر ماضيها وطفولتها في «تلال فرعون» وتبعث فيها الشعور بالغربة والاغتراب نحو وطنها الأم. «كأنَّ الكاتبة تتحدث في هذه الرواية عن تلك الفتاة الصغيرة التي كانت تعيش وراء ستار من التقاليد والسنن للمجتمع المصري في الثمانينات». (حشمت، ٢٠١١: ١٤) هذا ولانّ هندا تواجه في الغرب نفس الوقائع التي حدثت لها في طفولتها وتتكرر لها الحياة الماضية ثانيةً. لاتقصد الكاتبة في هذه الرواية تصوير هجرة المرأة لبلد غريب فحسب، بل تصور أيضاً ككاتبة ذات نزعة نسوية معاناة المرأة وتنتقد المجتمع الغربي والتحديات التي يواجه بها المهاجرون في بلد غريب. جدير بالذكر بما أنّ الكاتبة تبيّن في هذه الرواية رؤيتها النسوية من جهة ومن جهة أخرى تتحدث عن التضاد الثقافي بين الشرق والغرب فعلى هذا الأساس نستطيع أن نعتبر هذه الرواية من الروايات التي تتجلى فيها مفهوم "الأنا" و"الآخر". «ظاهرة الأنا والآخر مفهوم فيه علاقة جدلية في كل مكان وزمان.

الآخر هو الذي يختلف عنّي في الدين واللغة والعنصرية و... وحينما تحولت الإنسانية وتقدم المجتمعات البشرية أُثبتت فلسفة وجود الآخر وهذه فلسفة عرفتها مصر». (أبو عوف، ٢٠١٠: ٤٠١)

هذه الرواية التي حاولت الكاتبة فيها تحليل ظروف المجتمع وأوضاعه، يمكن دراستها دراسة سوسيولوجية، ونفسية، واقتصادية، وأدبية. في الحقيقة تبيّن الكاتبة فيها الاختلاف الحضاري والثقافي بين الشرق والغرب بصورة مباشرة وغير مباشرة. لذلک تعتبر هذه الرواية في نوعها عملا يصور المجتمع تصويرا واقعيا. لقد استفادت الطحاوي في كتابة هذه الرواية كثيراً من الصور التي شاهدتها أو جرّبتها في طفولتها ولذلک نشعر عند قراءتها أنّ قسما كبيرا من حياة هند قد تبلور قبل ذلک في حياة الطحاوي نفسها. عندما يبتعد الإنسان عن وطنه ويواجه ظروفا جديدة قريبة من حياتها الماضية وظروفها، يظهر فيه شعور يذكّره وطنه الأم فلذلک لا تبدو تسمية هذه الرواية ببروكلين‌هايتس (تلال بروكلين) صدفة ولا يمكن أن ننسبها إلى تلال بروكلين فقط ،بل ربما جاءت هذه التسمية من شعور كاتبةٍ تشاهد من بعيد وفي مدينة غريبة موطنها وكلّ ما مر بها وتشاهد كل شيء من فوق التلال حيث ابتعدت عن وطنها وهي تعيش الآن في نيويورک و تشاهد كل الوقائع والأحداث عن كثب.

لقد تكونت الرواية من حيث البنية بشكل جاءت الكاتبة فيها بجميع عناصر القصة. وهذه العناصر والتقنيات كلها أثّرت بنوع خاص في تصوير صورة هند (بطل الرواية). والزمان والمكان هما من أبرز عناصر القصة. المدن والمشاهد الطبيعية (البساتين والحدائق العامة والمتاحف و....) هي العناصر المكانية لهذه الرواية التي ترويها الكاتبة بأوصاف رائعة بحيث يشعر القاريء حين قراءتها أنه يعرفها وبما أن الكاتبة جعلت عناوين أغلب الفصول في الرواية أسماء الأماكن، نستطيع القول بأنّ المكان هو العنصر الأقوى في الرواية حيث عنوان الرواية نفسه يُنبئ عن مكان ما وانتُخب باللغة الإنجليزية. إن نفكر في عنوان الرواية فيبدو لنا البعد المكاني، وكذلک كلمة هايتس (Hights) تعني المكان المرتفع تشير إلى آمال هند التي تنظر إليها من مكان بعيد مرتفع. وهكذا لا نستطيع أن نغمض العين على دور الزمان كعنصر من عناصر الرواية. فقد استفادت الكاتبة من عنصر الزمان في بيان زمن الفصول في كثير من أقسام الرواية. تنقسم شخصيات الرواية إلى قسمين: الشخصيات الأصلية والفرعية. فالشخصية الأصلية هي هند وشخصيتها في ماضيها هي شخصية نشطة تفكر دائماً في أن تفر من البيت ومن بلدها وتهاجر منه ولكن شخصية هند في هذه الرواية هي شخصية منعزلة ومهمومة وهي وإن واجهت فيها بأشخاص عديدة

والشخصيات الأخرى نظراً لأدوارهم في القصة تأتي بعدها وتعتبر شخصيات فرعية مثل: إيمليا الروسية وفراهات من البوسنة وليليت المصرية وتشارلي والضيفة وزينب وبقية الشخصيات. الأسلوب اللغوي الذي استعملتها الكاتبة في حوارات الشخصيات داخل الرواية هو أسلوب العامية المصرية التى هي من أبرز السمات اللغوية لهذه الرواية. يبدو أن الكاتبة بما أنها ولدت في صحراء مصر فلغة البدو تبدو بارزة في رواياتها وهكذا نرى بعض الكلمات الإنكليزية داخل الرواية يبدو أنها جاءت بتاثير من عنصر المكان في الرواية.

هذا وقد تم تصوير المرأة العربية المهاجرة في هذه الرواية بأشكال مختلفة وقد يتم تقديم صورة المرأة في جوين متناقضين، فهي تشير من جانب إلى آلام المرأة في مجتمع خاضع لسلطة الرجل ومن جانب آخر ترسم لنا آلام المرأة المهاجرة إلى بلد آخر، المرأة التي تهاجر إلى بلد غريب لتجد الأمن والراحة لكن تتراءى القيود الماضية وشقاءها في مجتمعها امام عينيها. فنظرا لهذه الأمور يبدو أن هندا هي رمز للطحاوي الّتي هاجرت من بلدها وتعيش في أمريكا وتواجه هي بنفسها هذه المشاكل في الغربة. هذه المرأة (هند) تواجه مشاكل عديدة في مدينة غريبة أهم أسباب هذه المشاكل هي الوحدة والغربة لذلك تبدو صورة المرأة في هذه الرواية صورة تنمّ عن الاغتراب والألم والمعاناة التي جاءت بسبب الابتعاد عن الوطن واستدعاء ذكريات الماضي.

الاغتراب والوحدة

الاغتراب هو الابتعاد عن الوطن وكلمة الغربة تعني الفاصلة والابتعاد. والغريب من ابتعد من الوطن. الاغتراب يعني الهجرة و السفر إلى حيث يكون الإنسان غريبا. فباب الافتعال هنا بمعنى الدخول في الغربة وهذا ما يعرف بالاغتراب الجغرافي وهذه الغربة ليست طوعية بالضرورة؛ بل تكاد تكون قيسرية في بعض الأحيان؛ أي إنّ المغترب ليس مهاجرا، بل مُهَجَّرا أُخرج من دياره حتف أنفه، فاضطرّ للعيش في ديار هو فيها غريب. (دلشاد والآخرون، ١٣٨٨: ٦٤) للغربة دلالتان: الأولى دلالة مكانية والثانية دلالة اجتماعية. (يحيى، ٢٠٠٥: ٢١) والغربة بشكليها الاغتراب والتغريب أ كانت نفسياً أم مادياً أو فكرياً هي شعور الإنسان بإحساس الفقد على المستوى الاجتماعى والفكرى. (شمس آبادى والآخرون، ١٣٩١: ٨٢) هناك للاغتراب وجوه عديدة: فمنها الاغتراب عن الوطن إلى جهات بعيدة ومنها الاغتراب النفسي وذلك حين يشعر المرء بأنّه يعيش غريباً بين أبناء مجتمعه ومنها أيضا اغتراب المرء عن نفسه، وذلك حينما تنفصل عرى الوثائق بين الإنسان ونفسه وكذلك الاغتراب الذي يفارق فيه

الإنسان أهله وأصدقائه ويرحل إلى مجتمعات أخرى تنعدم فيها صلات القربى ويتوجه إلى مجتمع آخر ويكون فيه أصدقاء جُدد ليعوضوه أهله. (جمشيدي والآخرون، ١٣٩٦: ٧٢) بعبارة أخرى الغريب هو الذي يهاجر من وطنه إلى بلاد أخرى للعثور على الأمان والهدوء والآمال والأمنيات. يرى «هيجل» الفيلسوف الألمانى الكبير أن الشعور بالغربة والاغتراب في المرحلة الأولى هو اغتراب الإنسان من نفسه وتعتريه الغربة ويرى كل شيء فائتا وبذلک يشعر بالغربة بالنسبة إلى ذاته ويصل إلى ذروة الإفراط والاغتراب عن نفسيته والثاني أن الإنسان يشعر بالغربة بالنسبة إلى مجتمعه والظروف السائدة فيه وإذا كان الاغتراب الأول للإنسان نابعاً من التناقض الموجود بين طبيعة الإنسان الجوهرية وبين وضعه العام فالاغتراب الثاني هو نوع من العلاقة والتفاعل للإنسان مع أوضاعه الاجتماعية فضلاً عن أن يكون هذا المجتمع حكومة أو شعباً. (السيد جاسم، ١٩٨٧: ١٤٣)

هند إمرأة حزينة فقدت الأمل في جميع الأحوال وكلما تشاهد الناس والأماكن، تتذكر بلدها (تلال فرعون) وأحيانا تشاهد الناس وتصرفاتهم فتذكّرها أسرتَها وهكذا تتذكر جميع ما حدث لها أيام طفولتها في بلدها. فكل هذه الأمور تذكّرها ذكريات الماضى ولهذا نرى أن اغتراب هند ينشا عن كثرة استدعاء الذكريات. هذه المرأة (هند) تواجه مشاكل عديدة في مدينة غريبة؛ أهم أسباب هذه المشاكل هي الوحدة والغربة لذلک تبدو صورة المرأة في هذه الرواية صورة تنمّ عن الاغتراب والألم والمعاناة التى جاءت بسبب الابتعاد عن الوطن واستدعاء ذكريات الماضي. هند إمرأة حزينة فقدت الأمل في جميع الأحوال وكلما تشاهد الناس والأماكن، تتذكر بلده (تلال فرعون) وأحيانا تشاهد الناس وتصرفاتهم فتذكّرها أسرتَها وهكذا تتذكر جميع ما حدث لها أيام طفولتها في بلدها. فكل هذه الأمور تذكّرها ذكريات الماضى. يمكن القول إنّ الغربة عند هند من النوع الاجتماعي لأنّها لاتستطيع أن تخلق علاقة مع الآخرين فتصيبه الغربة.

من الأمور التى تجعل المرأة وحيدة على مفترق الطرق هو الطلاق وهذه المرأة في أغلب الأحيان تتعرض للكآبة والعزلة وهذه الكآبة والعزلة تنشأ عن عدة أسباب والطلاق والانفصال عن الزوج واحد منها. فهند في هذه الرواية هي المرأة التى انفصلت عن زوجها وأسرتها وانتخبت الهجرة إلى بلد غريب. إنّ أم هند هي امرأة تتحمل جميع المشاكل والظروف الصعبة والقاسية التى تفرضها عليها الحياة البدوى؛ لكنّ هندا تفضل الفرار عنها والهجرة من بلدها وتفضل الوحدة في بلد غريب على العيش في مجتمع بدوى. فالوحدة في حياة هند في الحقيقة هي نوع من الإغتراب الذى يقف الفرار والهجرة وراءها وهي امرأة

نفرت من حياتها وتعيش منفردة في الغربة ومنذ السطور الاولى من الرواية يظهر أن بطل الرواية (هند) سوف تعيش وحيدة في بلد غريب وسيكون طفلها أنيسها الوحيد. تبحث هند عن بيت لتستأجره فتنتخب شارع (فلات بوش) من بين جميع الشوارع وهي في الحقيقة تبحث قبل دخولها إلى أمريكا عن بيت وتنتخب داراً تناسبها: «من بين كل الشوارع تختار (فلات بوش)؛ لأنه يصلح لها وهي تركض حاملة وحدتها، وعدة حقائب، وطفلها يتساند عليها كلما تعب من المشي، وعدة مخطوطات لحكايات لم تكتمل...». (الطحاوي، ٢٠١١: ٩)

تخطو هند في وحدتها في أزقة بروكلين وتلتقى بالمهاجرين من الرجال والنساء من البلدان المختلفة الذين هاجروا لأسباب مختلفة وهم يعيشون منفردين ويشتغلون في اعمال وضيعة برواتب ضئيلة لسبب كونهم مغتربين وهند واحدة منهم فهي تتحدث عن المهاجرين الآخرين وتقول: «اسمي هند. جئت من القاهرة، لا أعرف بالضبط لماذا؟ أحاول التكلم بالإنجليزية. أحب اللغة العربية، كنت أعمل مدرسة، فقط أشعر أنها لم تعد كافية. أشعر بخجل كلما كان على أن أتكلم بالإنجليزية. حتى الكلمات الصحيحة التي تعلمتُها، عادةً ما أنطقها بطريقة تجعل الآخرين لا يفهمون ما أقول.كنت أذهب دائمًا إلى أماكن المثقفين، وأدّعي أنني واحدة منهم، لا أفهم تمامًا ما يتحدثون عنه. أجلس فوق المقعد البعيد كي لا يسألني أحد..». (المصدر نفسه: ٢٢) ويتحدث المهاجرون وتعرّفون أنفسهم تعريفاً كاملاً و بالتفاصيل وبصيغة المتكلم، منهم «فاطيما» حيث تقول: «فاطيما من صومإلى، ٢٤ سنة، تربيت في فرنسا، جئت في زيارة بعض الأقارب. أعمل بائعة في محل.»

إنّ وحدة هند تظهر في كل أقسام الرواية وبما أن لها شخصية حائرة ومهمومة فانها تجول دائما في شوارع بروكلين .«تجلس وحدها وتنتظر أن يرن الهاتف، أو تبتسم لها امرأة لا تعرفها في طريقها اليومي. ولم تعد ترى «فاطيما» أيضًا. تقول لتواسي نفسها: «إنّ كل الناس مشغولون في تلك المدينة.» تسير وحدها باتجاه «الأتلانتك أفنيو». يسقط مطر الشتاء؛ فيختبئ المشرّدون في أنفاق المترو، وتركض العجائز باتجاه «دانكن دونتس» يجلسن وحدهن متلفتات إلى أشخاص قد يبادلونهن الابتسام، أو الثرثرة. يسقط المطر على زجاج المقهى؛ فتراقب قطراته المُفْرَدة، وتفكر كم هي متسقة مع البؤس من حولها...». (المصدر نفسه: ١٣٨)

وحدة هند من العوامل الرئيسية التي تعتبرها الطحاوي سببا لظهور حالات هند السيئة الأخرى. الكاتبة تريد أن تكشف عن رؤيتها السلبية بالنسبة إلى أميركا إثر تصوير هند تصويرا حزينا لأنّ هند ما إن تدخل أميركا تشعر بالغربة والوحدة

وهذا الأمر يكشف عن تحديات المهاجرين إلى هذا البلد الغريب. الطحاوي نفسها تتحدث عن الحالة هذه ناقدة الأوضاع السائدة على بلدي مصر وأميركا بقولها «الرحلة عموما في الحياة والأدب بحث مضن عن مكان تنتمي إليه. عشت في مصر فترة مؤلمة تخللها مرض الوالدة ووفاتها ورحيل عدد كبير من أعز الأصدقاء، فجأة مثل يوسف أبو ريه ومحمد البنكي وغيرهم، وتحولت الكتابة إلى سوق استثمارية كبيرة. إن غياب جيلي من الكتاب الذين بدأنا معا وتحول المشهد كله سياسيا وإبداعيا، حدث ذلك مرة واحدة، أضف إلى ذلك الوضع السياسي الراهن لا أعرف بالضبط هل هو فقدان بيت الأسرة تماما بعد وفاة والدتي، وغلق الباب أمام طفولتي أم هو حالة من الإحساس العميق بأن هذا المكان لا يخصني، لا أنكر أيضا أنني توقفت عن الكتابة الإبداعية لصالح العمل الأكاديمي، وسبب لي ذلك أرقا وخواء، فالكتابة الرواية في حياتي ليست مهنة بقدر ما هي هوية بديلة لا أعرف لماذا فكرت في بلاد جديدة، وبيوت لا تحمل كل هذا الثقل من المواجد والذكريات. عندما سكنت شقة بروكلين تحول الماضي الذي هربت منه، الفساد، العنف الديني، الفقد، أزمة منتصف العمر، الخيانة، التفسخ، كل هذه التركة صارت ضاغطة ولا خلاص منها إلا بالكتابة، فكل ما أعيشه بحواسي اليومية يردني إلى ذاكرة أبعد، وتحولت الحياة كما يصفها النص إلى ريح من الحنين العاتي حيث يكتشف الراوي والكاتب معا أن البدايات لا تتحقق بمجرد الرغبة فيها وأن ما حملناه بداخلنا يظل بداخلنا للأبد، ربما هذا ما قاله عالم النفس فرويد بوضوح ذكريات طفولتنا البعيدة هي اللاشعور الذي يفرز أحلاما وصراعات وربما كتابات أيضا». (الحمامصي: ٢٠١٠) بعبارة أخرى تعتقد الطحاوي أنّه ليس للمهاجرين أيّ هدوء واطمئنان في وطن الأم ولا في البلد المضيف. كأنّ هند راوية القصة الطحاوي نفسها تنبئ عن عدم رضاها في البلد الجديد. الطحاوي تبدأ الصفحات الأولى من الرواية بظروف حياتها حين الدخول إلى أميركا حيث تغرقها الغربة؛ أميركا هو البلد الذي يشبه وطنها الأم حيث تشاهد الطحاوي فيها ظروب الفساد والفوضى فيصيبها اليأس والحزن بمشاهدة أوضاع السيئة للمهاجرين الذين سافروا إلى أميركا من بلدان أخرى. لأنه ليس قيمة للنساء المهاجرات. فكثير منهن اشتغلن بأعمال ومحن رخيصة ودنيئة. فنظرا لهذه الأمور يبدو أن هندا هي رمز للطحاوي التي هاجرت من بلدها وتعيش في أمريكا وتواجه هي بنفسها هذه المشاكل في الغربة.

الشعور باليأس

إن اليأس عند الإنسان يكون في أغلب الأحيان متاثراً من الظروف السيئة للحياة والذي أصيب باليأس فهو لا يرى للحياة معنىً و يرى العيش نوعا من العدم واللاوجود. وفي اكثر الاحيان تكون غربة الإنسان سببا ليأسه وقنوطه. فكل ما سوف تواجهها هند في المستقبل في البلد الغريب وسوف تحدث لها ، تتراءى لها كانّ كلّ ما كان في ماضيها سوف يظهر لها من جديد. فلذلک بعد مشاهدة هذا المصير المتكرر تشعر هند باليأس والقنوط. هند إمرأة سخطت على ماضيها الفاشل وتوطّنت بلداً آخر فراراً عنه فإنها هاجرت إلى أمريكا لعدم رضاها عن أسرتها وزوجها وفرارا من الظروف الصعبة التى كانت تسود بلدها ولتجد الراحة فمنذ دخولها إلى هذا البلد ومشاهدة ظروفه الإجتماعية تشعر أن مصيرها الماضى تتداعى لها مرة أخرى. تستاجر هند شقة صغيرة في حيّ فقير للمهاجرين و تعيش فيها وحياتها في هذا الحي تشبه حياتها الماضية فبعدما تواجه نفس المصير في البلد الغريب و عندما لا ترى الغرب مناسباً للحياة تقرّر العودة إلى بلدها ودارها وتلجأ إلى الحظ والبخت لتختبر حظها في سبيل السعادة.

«كانت تريد أن ترى حظها في أي شيء. أبراج البخت، وأوراق الحظ المسماة «تاروت» و الكوتشينة، وكف يدها أحيانًا. جبينها لايمنع، إذا كان هناك من يستطيع قراءته. لكنها لم تتوقع أن تجده داخل قطعة العجين المقددة، على ورقة صغيرة ملفوفة بطريقة حلزونية دقيقة، تفتحها بعناية من يخاف على قدره ومصيره الذي تحمله اللفافة، ثم تقرأ: «ما ينتظرك ليس أفضل مما تركته وراءك». قطّعت الورقة نتفاً صغيرة، وقذفت بها في كوب الماء، ومشت...». (الطحاوي، ٢٠١١: ١٣) فبعد ما تدخل هند هذا البلد الغريب ولاترى مصيرها مناسبا ولا ترى بختها مواتيا تشعر باليأس ويزداد اغترابها ويعاودها الحنين إلى الشرق والوطن .أما ابنها الذي لم يجرّب شيئا في بلده وليس في ذهنه خلفية وأية ذكريات من وطنه الأصلى يفضل الغرب على بلده.

«كلما أرادت أن تعود إلى حي العرب، تحت وقع الحنين أو المقت، يرفض أن يذهب معها، ويطلق تصريحاته الحادة:

لا. ما بَحِبّش أروح عند العرب.

ليه؟

«باي ريدج » مش نظيف، ....وأنا مش عايز أكون واحد منهم

مش عايززززز.

ها تسيب ماما تروح لوحدها؟

أنا مش عارف إنتي بتحبي «باي ريدج » ليه؟

يمكن بيفكرني بمصر». (المصدر نفسه: ٤٤)

نشاهد الاغتراب الاجتماعي عند هند وابنها في هذا القسم من الرواية؛ الاغتراب الذي نابعة من البيئة الجديدة. يمكن أن نجد جذور هذه الاغتراب في عدم قدرة هند في خلق علاقة قوية مع الآخرين. تشعر هند بالغربة الشديدة حين دخولها في البلد الجديد ولاتستطيع أن تجعل علاقة بالآخرين وتشارک في النشاطات الجمعية. في حين أنّ ابنها لاتحس هذا الاغتراب لعدم شعوره بهذه القضايا. باى‌ريدج من مناطق جديد في أميركا؛ منطقة تذكّرها مصر. إن ندقق في الحوار الذي يجري بين هند وابنها ننتبه أنّ غربة هند منبعثة من البلد الجديد من جهة ومن جهة أخرى ناتجة عن تذكر الماضي وذكرياته.

الارتباک والقلق

غدت هند منذ دخولها نيويورک في قلق و ارتباک لأن هذه المدينة لاتعير اهتماما لآمالها ولاتتحقق فيها طموحاتها من الهجرة و هي لاتتخلص من الماضي فتُمنى بالفشل في الحب فهي امرأة غريبة ولاتعرف شيئا عن تقاليد هذا البلد وآدابها وفي كل لحظة تجول في أرجاء المدينة وفي كل مرة تواجه حدثا يؤدى إلى قلقها وارتباكها ألى درجة يدرک ولدها الفرق بين أمه و بين الآخرين و يشعر هو بالقلق إزاء أوضاع أمه و حالها. تنتظر هند ابنها أمام المدرسة فعندما يخرج الإبن يراها إمرأة وحيدة و مرتبكة لا تشبه أحدا من الناس فيقترب منها بحذر ويتحدث معها ويطلب منها أن تغيّر نفسها و تتلاءم مع الظروف الجديدة كما طلب المهاجرون عند دخولهم الى الغرب من «(اوباما) طموحاتهم وطلباتهم بتغيير بعض الأمور فيجرِ هذا الحوار بين الأم و طفلها:

ماما أنتِ لم تسرحي شعرك؟

يعني؟

إنتِ شكلك أصبح غريب يا ماما. ليه توقفتِ عن وضع مكياج على وشك وكده؟.

يمكن ليس عندي وقت.. يمكن.

ماما، أنت لا تهتمين بنفسك.

المهم أنني مازلتُ أهتم بكَ.

عملتْ إيه النهار ده؟

عملنا مظاهرة وكتبنا change، وامتنعنا عن الأكل.

ليه؟

أكل المدرسة ممل، كل يوم الأشياء نفسها، وكده.. عملنا احتجاجْ، وكتبنا عايزين بيتزا و هامبورجر وآيس كريم، و رفعنا صورة «أوباما»، وكتبنا .. وأنتِ كمان لازم تتغيّري يا ماما..
إزّاي؟
يعني شعرك، وشكلك، وكده..
يعني ماما خلاص مش عاجباك؟
لا يا ماما، لكن إنتِ لازم تتغيّري.. إنتِ طول الوقت حزينة، وساد
.sad
طيّب». (المصدر نفسه: ٢٥)

على الرغم من أن هنداً تتردد في بيئة أمريكا الحرة في أجواء ضيقة ومحدودة مثل مرافقة ابنه إلى المدرسة أو الذهاب إلى محلات بيع السلع الرخيصة أو الركض وراء الحافلات، لكن كل هذا أدّى إلى أن لا تجد وقتا كافيا للعناية بنفسها فنراها تقضى الأيام مرتبكة ومشوشة دائماً؛ ولكنّ ابنها لايحب هذا الوضع ومازال يريد التغيير والتجديد في الحياة وفي حال أمه. إنّه يشاهد فارقا كثيرا بين أمّه والآخرين الذين يعيشون في نيويورک وهذا الأمر يؤذيه بشدة. الأمّ تكون تتعهد بالآداب والتقاليد في المجتمع الجديد ولكنّ الابن يريد التجديد في الحياة وهذا التضاد يؤدّي إلى الارتباک والقلق عند هند.

تذكّر الماضى

إنّ تذكر الماضى واستدعاء ذكرياتها الحلوة والمرة من المظاهر البارزة من الاغتراب التي ظهرت في شخصية المرأة المهاجرة وهند في هذه الرواية هي المرأة التى انفصلت عن أسرتها وعن التقاليد والعادات المتشددة لمجتمعها الذي يخضع لسلطة الرجل وهاجرت إلى بلد آخر له تقاليده وعاداته الخاصة و كأنه لا فرق بين ماضيها ويومها لأنها تتذكر في هذا البلد الجديد كل ماضيها الذى فرت منه وجميع الشخصيات التي عاشت معها مثل أبيها وجدتها وزوجها وتلال فرعون (القرية التى عاشت فيها طفولتها). يعترى الإغتراب في هذه الرواية هنداً بصور مختلفة، منها: تذكّر ذكريات الطفولة و المراهقة. والبعد عن الوطن والألم والمعاناة التى يجر وراءه. وحزن المشيب وفكرة الموت في بلد غريب. و...
«تسير هند الآن في ضواحي «بروكلين »، ولا تكل من المشي، كأنها تحقق أمنية قديمة بأن تسير في بلاد لا يعرفها فيها أحد...». (المصدر نفسه: ٣٧)

فمن هنا يظهر حنين هند واغترابها بشدة أكثر و إنها تجول في أرجاء بروكلين ولاتكل من المشي كان آمالها القديمة تتحقق بالمشي والتجول في بلد لايعرفها أحد. فإنها في كل جولة في أزقة أمريكا وشوارعها تتذكر ماضيها وأسرتها ومجتمعها الذي انفصلت عنه وكلما تواجه نماذج شبيهة لما مرّ بها، تتداعى هذه الامور أمام عينيها مرة أخرى .

تذكر «تلال فرعون» والجدة «الضيفة» عند مشاهدة «المقبرة الخضراء»

ضيفة هي جدة هند شغلها التطريز وحياكة الملابس وتربية الحيوانات الأليفة ورعايتها وينادیها كل الناس (الضيفة) ولاينادونها بالجدة. كانت الجدة تعيش في تلال فرعون وكانت هند قد قضت معها أياما كثيرة لذلک كلما كانت هند تمر في أمريكا بمقبرة جرين وود (المقبرة الخضراء) التي تقع على ربوة عالية مثل تلال فرعون فإنها كانت تتذكر جدتها (الضيفة) التى كانت تعيش في تلال فرعون في غرفة صغيرة ثم ماتت فيها: «يتقاطع الأفنيو السابع مع «الجرين وود»، تلك المقبرة الكبيرة التي تسكن ربوة عالية، تذكّرها ب«تلال فرعون»، تحب أن تسيرفي تعاريجها صباحًا؛...». (المصدر نفسه: ٤٧) «وتعبر مقبرة «الجرين وود » متأملة الصلبان على شواهد المقابر، في محاولة منها لنسيان جدتها التي عاشت في بيت صغير أعلى التلة لم تغادره قط، ثم ماتت حاضنة صليبها الخشبي، ناعسة في مقابر الأسرة باسم (الضيفة أم البنين)». (المصدر نفسه: ٥٥)

كذلک حينما كانت هند تلبس تلک الملابس الثقيلة و تشم رائحة النفتالين فإنها كانت تتذكر جدتها (الضيفة) و تتشبّه بامرأة عجوز و تتراءى لها الحياة كحياة جدتها التى كانت تعيش وحيدة وسقيمة.

«ترتدي معطفها الثقيل الذي اشترته من مخزن للملابس المستعملة، تشم من طياته رائحة النفتالين والعطن الذي يلتصق بالملابس القديمة. تشعر أنه يجثم على جسدها بثقل وكآبة، تختفي فيه وتتشابه مع كل الأشياء من حولها، تشبه العجائز والشوارع، باردة وحيدة، ومحايدة. تدرك «هند » الآن أنها صارت تشبه جدتها أكثر من أمها. تذكّرت كيف كانت تجلس دائمًا في حِجْر جدتها «الضيفة» مجرد طفلة ضجرة بمؤخرة شبه عارية». (المصدر نفسه: ٤٧)

تذكر الجدة زينب

زينب امراة سمراء وهي ليست جدة هند الحقيقية فإنها كانت تأتى كل أسبوع إلى بيتها وتطبخ لهم الخبز وتتعهد شؤون بيتهم ولاتطلب منهم أي أجر كما إنها كانت تعمل في بيوت كثيرة وعندما كانت هند ترى إيمليا العجوز التي هاجرت إلى

أمريكا وهي تحاول أن تكسب حياتها و لقمة عيشها ببيع الأحذية المستعملة في الشوارع وعندما كانت تعبر من جانبها كانت تتذكر زينب وتشم رائحتها: «(إيمليا) رائحة العجائز، تلك الرائحة الغامضة التي يتركها الزمن بلا مبرر، رائحة تعرفها (هند)، وطالما خبرتها وهي جالسة إلى جوار امرأة كبيرة السن، تعمل في بيت أبيها، كان اسمها هكذا مُركبًا منذ عرفوها: (الجدة زينب)». (المصدر نفسه: ٦٣) «تقول لها «هند» إنها تذكّرها بأشخاص كثيرين في حياتها. تضحك (إيمليا)، فتنكشف أسنانها التي سقطت، وتقول ضاحكة: «أعرف.. أعرف.. كل الناس يقولون إنني أشبه عجائز فيلم زوربا. للأسف لم أرَ هذا الفيلم. ولاأعرف السيد زوربا، لكن كل العجائز يشبهن بعضهن البعض ياعزيزتي». (المصدر نفسه: ٦٩)

تجسّد الكاتبة بهذه الذكريات الشعور بالاغتراب في شخصية المرأة المهاجرة من جانب ومن جانب آخر تروي عالم النساء ومعاناة جمع غفير منهن، جمع النساء اللاتي كنّ في حياة هند الماضية وفي مجتمع خاضع لسلطة الرجل واللاتى عشن محصورات مقصورات بين أربع جدران وتكبدن آلام كثيرة من التقاليد القديمة القاسية لمجتمعهن. وهكذا تروى عالم جمع آخر من النساء اللاتى تواجه هند معهن حاليا وهن يعانين الغربة في مدينة غريبة. لذلك نرى أن الطحاوي تقوم بدراسة حياة مجموعة كبيرة من النساء ومشاكلهن في الماضي والحال.

تذكر الوالد

رائحة البيرة (ماء الشعير) تذكّر هنداً والدها.كانت لوالد هند غرفة في تلال فرعون تسمى «المضيفة» فانه يجتمع فيها مع رجال كثيرين ويقضى معهم أوقاتاً في الترف واللهو ويستمع أحيانا إلى شكوى الناس ومرافعاتهم ويحكم بينهم و يحاول أن يقيم الصلح بين الطرفين وكانت أمها تغضب من تصرفات الوالد لكنها كانت مضطرة لتحمل هذا الجو الخانق والمغلق: «تحت نافذتها بالضبط، يقع البار الصغير الذي تفوح منه رائحة بيرة طازجة من براميل خشبية تبدو عتيقة. تحب رائحة البيرة لأنها تذكّرها بأبيها. تقول (الجدة زينب) أبوكِ كان غاوي...». (المصدر نفسه: ٧١)

على الرغم من أن والدى هند كانا في نزاع و خلاف دائم داخل الأسرة و كانت هند ترى أخطاء والدها في حق أمها لكنها كانت تحترم أباها و تكرّمها حيث تقول: «كان وسيمًا وأنيقًا. ذلك ما تظل هند تتذكره عن والدها يرتدى بدلات أنيقة مكتملة. كان هذا يتطلب جهدًا إضافيا من أمها، في كىّ مناديل جيبه البيضاء، وترتيب جواربه و رابطة عنقة، بما يتناسب مع ما يرتديه». (المصدر نفسه)

تحاول الطحاوي في أغلب الأحيان بجانب الحديث عن آلام النساء ومعاناتهن أن تاتى بشخصيات الرجال كي تجعل القارىء في مجرى الرواية لأنها تريد رواية آلام النساء عند الرجال. شخصية والد هند واحدة من هذه الشخصيات فالكاتبة تتحدث عنه وعن الآلام التى يفرضها على والدتها أو تتحدث عن شخصية زوج هند الذى اختلفت هند معه بسبب خيانته. تتحدث الكاتبة هكذا عن تعرف هند على تشارلي (مربي الرقص).

فكرة الموت

تشعر هند عند دخولها في هذه المدينة الغريبة و بعد مشاهدة مصيرها أن آلام الماضى و معاناته لاتزال تدوم وتتواصل في هذا البلد ولاتتركها. أن الإنسان يفكر للموت حينما تزداد الآلام وتشتد كانّ كل هذه الأمور تنتهى إلى الموت و الموت هو البارقة الوحيدة للأمل و النجاة. فهذه النظرة في الحقيقة انطباع متفاءل من الموت، متشاءم من الحياة. عندما يتبرم الإنسان بالمشاكل ولا يجد لنفسه حيلة ويشعر بالوحدة فعند ذاك يستسلم لليأس وتعتريه فكرة الموت كثيرا.

يبدأ موضوع الموت وفكرة الموت منذ بداية هذه الرواية في حوار الأم مع ولدها وتدوم حتى نهاية الرواية. ترى هند نفسها شبيهة بـ«ليليت» التى ماتت في الغربة بعد تحملت الآلام و المصائب الكثيرة حينما تتحدث مع إيمليا التى تجمع أشياء ليليت وتقول: «تراقب (هند) خطوط القلم الرصاص على اللوحات التي رسمت فيها تلك المرأة بورتريهات عديدة لوجهها، ثم تقول: «انظري يا إيمليا.. كيف كانت (ليليت) في شبابها.. تشبهني أ ليس كذلك؟ أ ليس هذا خدش قديم أسفل جفنها مثلي.. انظري»، تبتسم إيمليا المشغولة بتقليب الأحذية وتقول لهند: «كل العرب يشبهون بعضهم. وأنا لا أعرف كيف أميز بينهم في الحقيقة». (المصدر نفسه: ٢٤٣) فتقول لإيمليا: «أشعر أنني أعرف هذه الأوراق يا إيمليا حقًّا. أشعر أنني كتبت كل كلمة فيها.. أنها أوراقي أنا، وأن تلك الخطوط بالفعل خطوط يدي، لا أعرف كيف أخذت تلك المرأة التي ماتت كل ما أردت أن أقول وأكتب؟! (المصدر نفسه: ٢٤٥)

نشاهد في قسم آخر من الرواية أنّ هند ليست بإمكانها أن تتحمل هذه الحياة الحزينة ويُخلَق فيها ضرب من الاغتراب الشامل الذي جمع أنواعا من الاغترابات كالاغتراب الفكري والنفسي والاجتماعي. ترى هند الحياة عبثا وتفكر في المستقبل المجهول. يشغلها التشاؤم والتأمل في الموت، تريد أن تتخلص من الحياة بما فيها من مشاكل والمهن. هناك حوار يجري بينها و بين إحدى صديقاتها يكشف عن حالات هند هذه:

-ما اخبار الحياة؟
-ما خلاص خِلصت.
-لسّه بدري... أنتِ لن تموتي...
يذكّر بطفلها. حين يقول ذلک، ترد عليه بالنبرة نفسها المستسلمة الحزينة:
-وأين سأذهب فى النهاية...؟
يرد عليا بجدية أكثر:
-لا أعرف؟ يا ريت كنا نعرف أين سنذهب في النهاية، كنا ارتحنا. (المصدر نفسه: ١٥٦)

لقاء مع تشارلى و تذكر الآلام التى كابدتها بسبب خيانة زوجها

تواجه هند في هذا البلد الغريب رجالا كثيرين بسبب وحدتها وغربتها من بينهم تشارلى (مربي الرقص) الذى له شخصية مختلفة عن شخصية هند .تقع شقة تشارلى فوق شقة هند وهي تتذكر زوجها كلما ترى تشارلى وهو يرقص مع صديقاتها في مجالس الرقص وهكذا تتداعى خيانات الزوج في ذهنها . يستغل تشارلى وحدة هند وغربتها ويقول لها في أول مرة يدعوها للرقص معه:
«هل تحبين الرقص؟ هل جربتِ التانجو أو الصلصا؟ ....
أحب.. لكن عمري ما عرفت كيف أفعل الأشياء التي أحبها...
قال وقد استعاد جديته: «هناك مدارس متخصصة في تعليم الرقص ». مد يده بالكارت، وقال إنه يدرس الرقص، ويمكنها أن تتعلم إذا أرادت معه، مجانًا بالطبع.
هزّت رأسها وقالت:
ربما».(المصدر نفسه: ٩٨)
«قالت لتشارلي إنها تتذكر المرة الأولى التي رأت فيها زوجها يغازل امرأة أخرى، كان ذلك في بيتها. وكانت تلك المرأة صديقتها، كل من عرفهن الزوج كن صديقاتها، أو خططن ليصبحن صديقاتها بعد ذلك».(المصدر نفسه: ١٠٥)
تدرک هند الفوارق والاختلاف الثقافي والحضارى وحين يراها تشارلى غريبة يريد أن يستغلها لأنها جاءت من مجتمع مسلم ومقيد فتتألم هند من هذه الفوارق. لأنّه حين وضع يده على كتفها في طريق العودة في المرة الثانية، لم تعرف لماذا قالت له بحزم: «لا تؤاخذني. لاأحب أن أسير هكذا.» ربما لم يفهم معنى ما تقول ولاسببه، وربما فسّر رفضها بعوامل ثقافية. (المصدر نفسه: ١١١)

ذكرى الطفولة

يشكل تذكر أيام الطفولة القسم الكبير من حنين هند و اغترابها. لقد قضت هند طفولتها خلف الأبواب المغلقة لأنها كانت تعيش في مجتمع يقيّد النساء وحرياتهن وقد أردجت الكاتبة في أماكن كثيرة من الرواية وصف طفولة هند وآلامها في بيت أبيها. إنها تتحدث عن عالمين مختلفين في الذات ومتشابهين في المشاكل و التصرفات وتروى آلام هند في طفولتها في كل فصل من الرواية وتقول: «تختلس النظر إلى بنات لا يشبهنها، يلعبن هناك في الفضاء المفتوح. يجرها أحد إخوتها من شعرها، إذا هي تسكعت أمام الباب...». (المصدر نفسه: ٣٧)

تتحدث الكاتبة في هذه الفصول عن أيام هند الماضية وتقيسها مع الأيام الحالية التى لافرق بينهما ويبدو أن الكاتبة تهدف إلى عرض عالمين مختلفين في الذات وموافقين في الظروف والعالمين اللذين اشتبكا معا تشابكا تاما. تتذكر هند أيام طفولتها عندما ترى فاطيما التى تنوى أن تبقى في بيتها عدة أيام وإنها ليست صادقة معها وتتذكر أنها بنفسها لم تكن حميمة مع صديقاتها في تلال فرعون. فاطيما فتاة في الرابع والعشرين من عمرها وهي صومالية تعمل كبائعة في أمريكا: «تعرف (هند) أنها تمشي معها، وتلتصق بها ليس بدافع الصداقة، هي فقط تحتاج أن تنام بعض الليالى في بيتها...» (المصدر نفسه: ١٢٤)

تعزى هند كل هذه الأحداث والوقائع إلى برجها الفلكى الذى ولدت فيه و تتذكر «حنان ونهى» صديقتيها فتشعر بالحزن و الاغتراب. كانت هند تلعب في الطفولة مع صديقاتها ولكن بعد مدة قصيرة تمنع أسرات صديقاتها اللعب معها فانها كانت دائما وراء الأبواب المغلقة المقفلة إما في بيتها وإما في اللعب مع صديقاتها وكانت تهيم في الحيرة والعزلة دائما وكان القدر قد قيض لها أن تواجه في الغربة أحداث شبيهة بأحداث تلك الأيام فتقضي الأيام في التشرد الدائم: «هند أيضًا كانت مشغولة بمحاولة تذكر حياتها السابقة، وتفكر كثيرًا كم من الأصدقاء عرفت، وتحاول تفهم بعد كل هذه السنين لماذا كان أصدقاؤها قليلين دائمًا؛ ربما لأنها ليست اجتماعية بما يكفي، وليست فكاهية بما يصنع قدرًا من الضحكات. حاولت أن تعزو ذلك إلى طبيعة برجها الفلكي المتردد المنطوي الذي يتخفى في صداقات قليلة ويفضل عالمه المغلق، ولن يستطيع أحد اختراق القشرة الصلبة التي يتخفى تحتها. في طفولتها كانت تجلس ثالث ثلاثة في الوسط، وعن يمينها (نهى) وعن يسارها (حنان)...» (المصدر نفسه: ١٢٥) أم«نهى» تنهاها عن اللعب مع هند. وهذ الأم يجعل هندا وحيدة دون أصدقاء:

«تسحبها أمها من شعرها لتدخل. بيتهم حجرتان خلف واجهة الدكان الصغير الذى يمتلكه «عم محمود» البقال...تلاحظ الأم تلصص ابنتها عليها من خلف

ثقوب الباب، فتفاجئها بفتحه وشدها من شعرها، وقرصها من فخذيها وهي تفشّ فيها غِلّ قلبها». (المصدر نفسه: ١٢٦)

«تقف «هند» خلف الباب الجديد، و تبحث بعينيها عن صديقتها، فلا تجد. تجلس فقط أم «نهى» خلف الباب، وتشد من دخان الجوزة، وينطلق الدخان من أنفها». (المصدر نفسه: ١٢٨) «تقول «أم نهى» ل«هند»، حين تسأل عن صديقتها: «خلاص بطّلنا مدارس». لكن ذلک لن يمنع «هند» من الوقوف على الباب الحديدي الذى لايفتحه أحد لها لتدخل». (المصدر نفسه: ١٣١)

حنان صديقة هند الأخرى. اسم أمّها «الست أم حنان» الخياطة. هي تزور هند في بيتها في بعض الأحيان وتتمرّن مع هند محنة التمثيل: تلعب هند دور الأم وحنان دور البنت. وكانت هند تحب بيت حنان وتتردد هنا كثيرا لأن بنات عديدة تجمعن في بيت حنان لتتعلموا محنة ما. وكان باب بيتها مفتوحا دائما. ولكن أم حنان لاتعتني بهند فتخرج حنان أيضا من دائرة حياة هند: «حين تقول لها «هند» ذات يوم: «ماما بتقول لو ممكن ليها شوية رقاق لرمضان يا جدة»، ستنتفض «أم حنان» من على ماكينتها، وتؤكد لها بحاجبيها: «قولي لماما إحنا بطّلنا خدمة العرب... وأمي لابتعمل رقاق ولا فطير يا بنتى». تشعر «هند» بالإحراج، ولاتفهم أساسا من هم «العرب»، و لا كيف تنتمى عائلتها إليهم». (المصدر نفسه، ص ١٣٤.) كانت هند تشعر بالوحدة حتى في المدرسة: تجلس هند في مدرسةِ مقاوي بلا أصدقاءٍ وتبقى هي البنتُ الوحيدةُ في الفصلِ الذي اختَفَتْ كُلُّ طالباتِه بسرعةٍ مُحزنةٍ... بعدَ ذلک لم تَعِدْ تُحبُ أنْ يكونَ لها أصدقاءٌ أو رُبَّما كانتْ لا تعرفُ كيف تخلقهم. كانتْ تقولُ «زُمَلاء» فقط؛ لأنَّ فقد الأصحابَ أو الاختفاء المفاجئ لمن يُشاركونها الأشياءَ التى تُحبُّها، صار يؤلِمُها مرةً بَعدَ مرةٍ. (المصدر نفسه: ١٣٧) التصوير الذي تقدمه الطحاوي من حنا ونهى يُظهر جانبا آخر من حياة البنات اللاتي تعانين من الخشونة التي تسيطر على المجتمع المصري الرجولي حيث ليس لهن أيّ اختيار من عندهن بسب جنسيتهن.

الإستنتاج

١- إنّ موضوع مواجهة المعتقدات الشرقية مع المعتقدات السائدة في البلاد الغربية من الموضوعات الهامة جداً والذي تناولته الروايات العربية وخاصة رواية بروكلين‌هايتس. فمن هذا المنطلق ظهرت الفوارق الثقافية والفكرية للشرق والغرب أكثر وضوحاً.

٢- لا يقتصر هدف الكاتبة في الرواية في التطرق إلى معاناة النساء وآلامهن في مصر فقط بل تحاول الكاتبة تصوير الشدائد التي يواجهها المهاجرون والمهاجرات

في البلاد الغربية و خاصة المهاجرات العرب حسب الفوارق الثقافية الموجودة بينهنّ.
٣- شخصية المرأة في هذه الرواية شخصية ثنائية؛ المرأة التي تواجه مشاكل عديدة في البلد الأجنبي وتعاني من الفوارق الثقافية في البلدين وهي تكلف نفسها في تحمل تلك المشاكل. هذه المرأة هاجرت من بلدها وكلّما جرّبتها في بلد أمها تظهر له في البلد الغريب كأنّه تلك الآلام التي شعرتها في بلدها تتكرر في بلد الغربة. وهذا الأمر يزيد في اغترابها والشعور بوحدتها.
٤- بما أن المضمون الأصلي لهذه الرواية يعتمد على الأوضاع الاجتماعية وتصوير الحقائق الموجودة في مجتمع الكاتبة فهي كتبت هذه الرواية بهدف التسامح والأصولية، لذلك نستطيع القول إنّ هذه الرواية هي رواية واقعية في نوعها. إذن موضوع الرواية موضوع اجتماعي والموضوعات الأصلية فيها كما يلي: وصف تلال فرعون في مصر وآلام النساء وإثبات عدم اهتمام الغرب بالشرق والتقابل بين ثقافتين، ثقافة الأنا (الشرق) وثقافة الآخر (الغرب). وكل هذه العناصر تنشأ عن روح الكاتبة وعن الحقائق الاجتماعية. إنّ موضوع مواجهة المعتقدات الشرقية مع المعتقدات السائدة في البلاد الغربية من الموضوعات الهامة التي أظهرتها الطحاوي في روايتها.

المراجع

أبوعوف، عبد الرحمان، **الرواية/ قضايا وآفاق**، قاهرة: الهيئة المصرية العامة، ٢٠١٠.

جمشيدى، فاطمة، وصال ميمندى، فاطمة قادرى، رضا أفخمى، **ملامح الاغتراب في شعر علي فودة وردود فعله عليها**، إضاءات نقدية، السنة السابعة، العدد السابع و العشرون، خريف ١٣٩٦، صص٩٨-٧١.

حشمت، دينا، **ميرال الطحاوي في عزلة تلال فرعون**، ثقافة وناس، الثلاثاء٤، كانون الثانى، العدد ١٣٠٦، ٢٠١١.

دلشاد، جعفر، عدنان أشكورى، **الاغتراب في الشعر المهجر العراقى: أحمد مطر نموذجا**، بحوث في اللغة العربية وآدابها، العدد الأول، ١٣٨٨، صص٧٨-٦٣.

السيد جاسم، عزيز، **تأملات في الحضارة و الاغتراب**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الاندلس، ١٩٨٧.

شمس آبادى، حسين، مهدي ممتحن، **مفاهيم الاغتراب والتغريب في الأدب العربى دراسة بالمقارنة في الأسباب والتأثير**، دراسات الأدب المعاصر، السنة الرابعة، العدد الرابع والعشرون، ١٣٩١،٩٨-٨١.

الطحاوي، ميرال، **بروكلين‌هايتس**، الطبعة الأولى، قاهره: دار الشروق، ٢٠١١.

عبدالله، يحيى، **الاغتراب؛ دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلّون الروائية**، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ٢٠٠٥.
يحيى على، أحمد، محمد عبدالعظيم، ابراهيم عبدالمنعم، **بلاغة الرواية**، قاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٣.

المصادر الإلكترونية

خلجی، مصطفی، رادیو کوچه، تاریخ بازیابی (٩٣/١١/١٥). com .١١ https://groups.google
المراسلة با میرال الطحاوي، تاریخ المراسلة (٢٠١٥/٠٦/١٠).
مجله‌ی الکترونیکی، «ماهنامه علوم انسانی مهرنامه»، «**بر دامنِ عرب ز نیل رنگی باشد**»، تاریخ بازیابی (١٢/ ١٠/ ٩٣). http://vista.ir/paper/1013
الحمامصی، محمد، «**میرال الطحاوی: کبرت والغربة حررتنی**»، الجزیره. نت، (2010/12/13). www.aljazeera.net

COPYRIGHTS

© 2023 by the authors. Licensee Islamic Azad University Jiroft Branch. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

ارجاع: غيبي عبدالأحد، مقدم متقي امير، امشاسفند جعفر، بدخشان رؤيا، تصوير المرأة العربية المهاجرة في رواية "بروكلين‌هايتس" لميرال الطحاوي، دراسات الأدب المعاصر، السنة ١٥ ، العدد ٥٨، صيف ١٤٤٤، الصفحات ٨٨-٦٦.